

يا أيها المؤمنون المحترمون،

وَلَا شَكَّ أَنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَهْمَا كَانَ عُمُرُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾² وَلَكِنْ عَلَيْنَا بِالْمِيزَانِ كَمَا يَنْبَغِي فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا. فَعَلَيْنَا كَعَائِلَاتٍ أَنْ نَحْتَّ شَبَابَنَا الَّذِينَ بَلَّغُوا سِنَّ النِّكَاحِ عَلَى الزَّوْجِ وَأَنْ نَذَكِّرَهُمْ دَائِمًا بِأَنَّ تَعْلِيمَ الْعِلْمِ وَسَبِيلَةَ لِمَرْضَاةِ اللَّهِ وَلَيْسَ بِغَايَةٍ لِنَلَّا نَتْرُكَهُمْ مُدْبَذِينَ بَيْنَ

السُّلْمِ الْوِظْفِيِّ وَالنِّكَاحِ. فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي يُحْتَّ النَّاسُ عَلَى الْفَرْدَانِيَّةِ بِشَكْلِ يُؤَدِّي إِلَى الْأَنْبِيَّةِ لَا يَنْبَغِي لِلْعِلْمِ أَنْ يَهْمَلَ احْتِيَاجَاتِ الشَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعَاطِفِيَّةِ وَالْقَلْبِيَّةِ. فَهَذَا الشَّبَابُ وَالشَّابَّاتُ الَّذِينَ يَجْتَهِدُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ وَظِيفَةٌ جَيِّدَةٌ لِيَكُونُوا نَافِعِينَ لِلْمُجْتَمَعِ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَدْعَمَهُمْ بِشَكْلِ مَادِّيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ وَأَنْ نُسَارِعَ لِنَنْفَسَ عَنْهُمْ كَرَبَّهُمْ. وَنَذَكِّرُ وَنَذَكِّرُ شَبَابَنَا دَائِمًا أَنْ تَأْسِيسَ الْعَائِلَةِ عُنْصُرٌ أَسَاسِيٌّ فِي الْحَيَاةِ وَأَنَّهُ خُطْوَةٌ مَهْمَةٌ فِي الْوُصُولِ إِلَى مَرْضَاةِ الرَّبِّ ﷻ. وَلِنُسَاعِدِ الشَّبَابَ وَالشَّابَّاتِ فِي اخْتِيَارِهِمْ أَزْوَاجَهُمْ وَلَا نَتْرُكُهُمْ فِي ذَلِكَ لِيُؤْخِرُوا

إِخْوَتِي الْفُضَّلَاءَ،

مِنَ الْعَوَامِلِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى تَأْخِيرِ النِّكَاحِ التَّجَاوُزُ لِحُدُودِ الْإِسْرَافِ عِنْدَ الْأَعْرَاسِ. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةٌ أَيْسَرُهُنَّ مَوْتُهُنَّ»³ وَإِنَّ الْمُبَالِغَةَ فِي الْإِسْرَافِ فِي الْأَعْرَاسِ تَذْهَبُ بِبَرَكَةِ الزَّوْجِ. فَيَحَاوِلُونَ أَنْ يُؤَدُّوا دُيُونَهُمْ بَعِيدًا عَنِ رِضَا اللَّهِ. وَهَذَا مُخَالَفَةٌ لِسُنَّةِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ «أَلَا تَسْمَعُونَ؟! أَلَا تَسْمَعُونَ؟! إِنْ الْبِدَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ! إِنْ الْبِدَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ!»⁴ وَقَدْ أَكَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْمَعْيَارَ الْوَحِيدَ لِاخْتِيَارِ الزَّوْجِ هُوَ الدِّينُ وَالتَّقْوَى. فَإِنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِذَا آتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَرُجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»⁵

إِنَّ النِّكَاحَ وَتَأْسِيسَ الْعَائِلَةِ مِنْ احْتِيَاجَاتِ الْإِنْسَانِ الْأَسَاسِيَّةِ. وَلِذَلِكَ ابْتَدَتْ الْعَائِلَةُ الْأُولَى بِالْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ هُوَ أَمْرٌ حَثَّ عَلَيْهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ ﷺ. وَلِلْأَفْرَادِ وَالْعَائِلَاتِ وَالْمُجْتَمَعِ مَسْئُولِيَّاتٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِذَلِكَ.

عَلَى الَّذِينَ بَلَّغُوا سِنَّ النِّكَاحِ أَنْ لَا يُؤْخِرُوا ذَلِكَ وَأَنْ يَسْتَعِدُّوا وَيَطْلُبُوهُ. فَمَا مِنْ ذِكْرِ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ أَكَّدَ أَهْمِيَّةَ النِّكَاحِ كَوَسِيلَةٍ لِلْسِّيْطَرَةِ عَلَى الشَّهَوَاتِ الْجِنْسِيَّةِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى الْعِفَّةِ. وَكَمَا بَيَّنَّ رَبَّنَا تَعَالَى ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَسْلُوبٍ وَاضِحٍ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، عَبَّرَ عَنْهُ بِوَسِيلَةِ قِصَّةِ يُوسُفَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ). فَكَمَا يُبْتَلَى النَّاسُ بِأَنْفُسِهِمْ، فَقَدْ اُمْتُحَنَ يُوسُفُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَنَجَّحَ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

إِنَّ الْحَبِيبَ الْمُصْطَفَى ﷺ عَبَّرَ عَنِ أَهْمِيَّةِ النِّكَاحِ كَوَسِيلَةٍ لِقَمْعِ الشَّهَوَاتِ بِقَوْلِهِ: «مَنْ زَوَّجَ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ الْإِيمَانِ. فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي النِّصْفِ الْبَاقِي»¹ فَنَرَى كَيْفَ خَاطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الشَّبَابَ الَّذِينَ يَمُرُونَ مِنْ فِتْرَةٍ قَوِيَّةٍ شَهَوَاتُهُمْ فِيهَا فَحَثَّ عَلَى الزَّوْجِ مَنْ اسْتَطَاعَهُ خَاصَّةً حَتَّى عَاتَبَ الَّذِينَ لَا يَتَزَوَّجُونَ بِالرُّغْمِ مِنْ صِحَّتِهِمْ وَإِمْكَانِهِمْ بِأَنَّهُمْ خَالَفُوا السُّنَّةَ.

أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ الْعَزِيزَةُ،

إِنَّ الْحَثَّ عَلَى النِّكَاحِ وَتَيْسِيرَهُ وَظَيْفَتَنَا كَمُسْلِمِينَ. الْيَوْمَ نَعْلَمُ أَنَّ مِنَ الْعَوَامِلِ الْكُبْرَى فِي تَأْخِيرِ الزَّوْجِ ضَعْفُ الْإِرْتِقَاءِ عَلَى السُّلْمِ الْوِظْفِيِّ، وَالْحُصُولُ عَلَى وَضْعٍ جَيِّدٍ فِي سَوْقِ الْعَمَلِ، وَرَغْبَةُ الْفَتَيَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فِي الْإِرْتِقَاءِ التَّعْلِيمِيِّ حَتَّى يَكُنَّ مُسْتَقْلَلَاتٍ. فَتَطْوِيلِ فِتْرَةِ الدَّرَاسَةِ يَتَأَخَّرُونَ بِالزَّوْجِ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى قَلَّةِ تَأْسِيسِ الْعَائِلَاتِ الْمُسْلِمَةِ الْجَدِيدَةِ.

⁴ سنن أبي داود، رقم الحديث (٤١٦١)

⁵ سنن ابن ماجه، رقم الحديث (١٩٦٧)

¹ رواه الطبراني في «المعجم الأوسط»، رقم الحديث (٧٦٤٧)، حسنه الألباني

² سورة الفاطر: ٢٨

³ رواه أحمد في «مسنده»، رقم الحديث (٢٤٥٩٥)، صححه الحاكم وأقره الذهبي